بانفسهم في الصراع ضد الظلم واللاسامية في اوروبا ، جنبا الى جنب مع غير اليهود ودعاة الاستيعاب او اليهود التقدميين · وهذا لن يعني بالنسبة الى الصهيونية ، ضمنا ، التشكيك الخطير في اعمق معتقداتهم فحسب ، ولكنه سيكون ايضا وربما حتى بصورة اخطر ، اعترافا بهزيمة فلسفتهم كلها ·

كان سبيل العمل الثاني المفتوح امام الصهاينة هو القبول بان الوضع قد تغير ، مؤقتا على الاقل ، في اتجاه غير مؤات لهم ، ومحاولة انقاذ ما يمكنهم انقاذه عن طريق التوصل الى ترتيبات جديدة ، ولكنها محدودة اكثر · وسيعني هذا بالطبع القبول بموت اعداد كبيرة من ابناء ملتهم · الا انه سيكون له امتياز ابقاء باب الاتصال مع المانيا النازية مفتوحا ، ويمكن استخدامه اذا عادت الحالة فتغيرت لتصير مؤاتية اكثر في المستقبل · والى ذلك لن ينطوي هذا على اي تخفيف جوهري او هزيمة للايديولوجيا الصهيونية ·

ان توقيع الاتفاقيات الباكرة مع المانيا النازية قادت الحركة الصهيونية بصورة حتمية الى هذا الاختيار الاليم · لقد جادل بعض المدافعين عن الحركة الصهيونية بان الصهاينة لم يكونوا يتصرفون استنادا الى دوافع شريرة في الواقع · وبصرف النظر عن الخطر الاخلاقي للادعاء بصورة عمياء ان الغاية تبرر الوسيلة ، فانه من المشكوك فيه جدا ان الصهاينة ، بمهارتهم البارزة في التخطيط البعيد المدى ، كانوا لا يعون الطبيعة الحقيقية او السبيل المحتمل للسياسة النازية ، وهما امران كانا واضحين لمعظم الاوروبيين العاديين منذ اواسط الثلاثينات على الاقل · وفي هذا السياق ادلى المدعي العام في محاكمة ايخمان ، جدعون هاوزنر ، ببعض التعليقات الصحيحة تماما · فقد قال في معرض اشارته الى هتلر : « عندما اطلق العنان لكراهية اليهود ، كان قد سار ايضا في الدرب السحيق الذي غاص الى (يوم المقاطعة) ، في الاول من نيسان (ابريل) ١٩٣٣ ، والى الكريستالناخت في ٩ ــ ١٠ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٣٨ ، والى قرار (الابادة المادية) في ٣١ تموز (يوليو) ١٩٤١ · كان هذا هو منطق الاحداث ، التي تطور كل منها من الحدث الذي سبقه ، وادى بصورة لا ترحم الى الحدث الذي يليه · وادت طريق اللاسامية الى اوشفيتز » (٤٣) ·

ان منطق الدرب السحيق لم ينطبق على النازيين فقط ، فالصهاينة بقبولهم المبدأ الحاسم للمصالح المشتركة والتعاون الملاحق مع النازية ، مهما كان محدودا في نطاقه خلال الثلاثينات ، وضعوا انفسهم على دربهم السحيق الموازي · كما ان ظاهرتي اللاسامية وتحالف المصلحة الذي ربط الصهاينة بهما ، على امل استخدامهما بوصفهما « القوة الدافعة » التي يحتاجونها ، لا يمكن فصلهما فصلا تاما · فقد اثرت كل منهما في الاخرى ، كما يحدث بصورة محتمة مع أية قوتين سياسيتين تكون العلاقة بينهما علاقة اتصال وثيق ، سواء في المجابهة او في التعاون ·

وفي اية حال ، مهما كانت الاعذار التي يمكن تقديمها لاتفاقيات الصهيونية مع النازية في الثلاثينات ، فانها لا يمكن ان تكون مسوغة لاي تعاون مستمر بعدما شرع النازيون في تنفيذ الابادة الجماعية على نطاق واسع في اواسط العام ١٩٤١ · وخلال فترة ١٩٤١ ــ ١٩٤٤ ، انفصل عدد من الصهاينة الافراد في اوروبا الشرقية التي يحتلها النازيون ، امثال موردخاي آنيليفتش ، عن السياسة الصهيونية التقليدية وشاركوا في الثورة على النازية · لكن هذه الثورات كانت جميعها منظمة محليا ، من قبل يهود في وارسو وفيلنو وبياليستوك ومناطق اخرى ، احيانا كثيرة بالتعاون مع بعضهم البعض